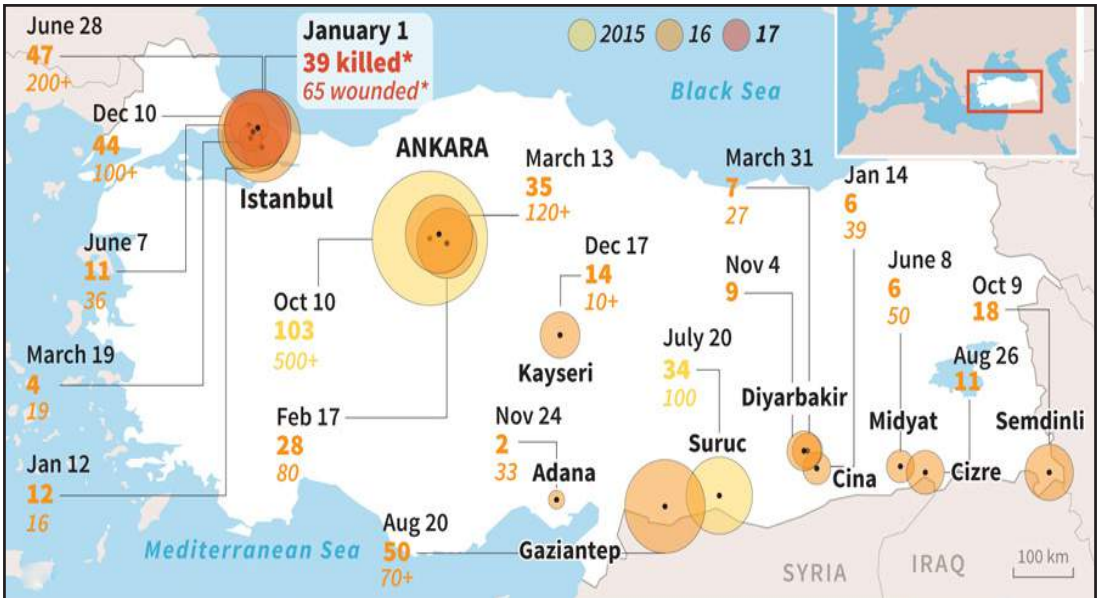




مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Planning and Studies

السياسة التركية في غرب آسيا النتائج والأهداف

مسعود رضائي



ترجمة وتحرير مركز البيان للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركزٌ مستقلٌّ، غيرُ ربحيٍّ، مقرّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليل مستقلٍّ، وإيجاد حلولٍ عمليّةٍ جليّةٍ لقضايا معقدةٍ تمّم الحقلين السياسي والأكاديمي.

حقوق النشر محفوظة © 2019

www.bayancenter.org

info@bayancenter.org

السياسة التركية في غرب آسيا .. النتائج والأهداف

مسعود رضائي *

الملخص:

لا شك أن تركيا - كونهما الوريث الوحيد للإمبراطورية العثمانية المنهارة وعبر تفاعلاتها وتحركاتها السياسية - كان لها حضور قوي، وأدت دوراً لافتاً للنظر خلال السنوات الأخيرة في منطقة غرب آسيا (المناطق التي انفصلت عن الإمبراطورية العثمانية)، ويمكن الإشارة إلى دورها المركزي في الحرب الداخلية السورية، وهو الأمر الذي أدى إلى نشوب حروب محلية مدمرة في البلاد، بالدعم الذي قدمته للفصائل المسلحة ولاسيما تلك التي لديها نزعات متطرفة. لقد كان هذا الدور مهم لدرجة أنه يمكن القول إن كانت حكومة أنقرة الحالية بقيادة حزب العدالة والتنمية وبرئاسة أردوغان لم تكن في السلطة في أثناء الأزمة السورية وبعدها، فمن المرجح أن الحرب الأهلية السورية ستكون أخذت منعطفاً آخر ولم تكن هناك خسائر بهذا الحجم، إذ إن الأمم المتحدة قدّرت هذه الخسائر بأكثر من 400 مليار دولار، وهناك حاجة إلى نصف قرن من الوقت لإحياء هذا البلد من جديد؛ بسبب الأضرار التي لحقت به. من المؤكد أن الحرب المفروضة على الحكومة السورية لها جذور من داخل منطقة غرب آسيا ومن خارج المنطقة أيضاً، فضلاً عن تركيا، فقد شاركت قوى إقليمية أخرى مثل السعودية، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، والأردن في حدوث الأزمة واستمرارها، ولكن تركيا - بسبب حدودها الكبيرة مع سوريا وبالطبع، مع وجود الخطاب القائم على الميول العثمانية الجديدة - عملت بمنزلة المحفز الرئيس لجر سوريا إلى دوامة الأزمة؛ لأن الدول الأخرى في المنطقة - كما تدعي - تبنت سياسة دفاعية تجاه (التحركات الإيرانية في المنطقة)، وردّت على التدخل الإيراني المزعوم في المنطقة من خلال سلسلة من التدابير، بينما كانت تركيا تسعى من وراء هذه الأزمة إلى تحقيق أهدافها الطموحة ونشر نظامها الجديد في المنطقة وفي العالم الإسلامي.

* خبير في الجغرافيا السياسية لغرب آسيا، مركز دراسات الخليج الفارسي.

استراتيجية أردوغان لاكتساب قيادة العالم الإسلامي

إن أول تنقل خطير لرجب طيب أردوغان فيما يتعلق بسياسته الخارجية تجاه المنطقة تم خلال أعمال المنتدى الاقتصادي الإقليمي بدافوس في تشرين الثاني من العام 2008، إذ حضر العديد من قادة العالم البارزين واغتمم الرئيس التركي الفرصة للكشف عن هذه السياسة الجديدة. وبادر الرئيس الإسرائيلي السابق، شمعون بيريز في هذا المنتدى بخطابه إلى تبرير سياسة قمع الفلسطينيين من قبل الجيش الإسرائيلي ودافع عنها، ثم بعد ذلك جاء دور أردوغان ليلقي كلمته وقد رد بتصريحات قاسية وقال لبيريز إنك تقدم ادعاءات كاذبة، إنكم تستمتعون بقتل الأطفال والبشر وأيديكم ملطخة بدماء الأطفال في غزة. ولقد لقيت هذه التصريحات رد فعل واسع النطاق في العالم الإسلامي، وأعجب بعض الإيرانيين بشخصية أردوغان وأشادوا بمواقفه دون تحليل استراتيجي ونظر متعمق في أهدافه ونواياه.

وفي الواقع، لم تكن خطوة أردوغان المثيرة للجدل خلال قمة دافوس الدولية أكثر من مجرد إعلان للسياسة الخارجية الجديدة لتركيا التي تهدف لتولي زمام القيادة في العالم الإسلامي، وذلك عبر الاستناد إلى الميول والتوجهات الإخوانية لحكومة حزب العدالة والتنمية، وبطبيعة الحال مع نكهة الاستفادة من تطلعات المجتمع المحافظ والمتشدد دينياً في تركيا الذين يريدون العودة الى الحقبة العثمانية المحيطة. وبالنظر إلى توجه تركيا على أردوغان بعد الطفرة الاقتصادية والازدهار الذي شهدته البلاد، فإن اتخاذ هذه السياسية أصبح أكثر وضوحاً من أي وقت مضى، وفي هذه الأثناء، أصبح لعطش أردوغان على النفوذ في العالم الإسلامي، وتقديم نفسه على أنه الزعيم الأوحيد للعالم الإسلامي، أبعاد جديدة وأخذت تزداد يوماً بعد يوم.

فشل تركيا في تأسيس فرع حزب العدالة والتنمية في مصر

منذ بداية التطورات التي عُرفت باسم «الربيع العربي» والاضطرابات التي حدثت في العالم العربي، انتهاز أردوغان الفرصة لمواصلة سياسته الخارجية، ومن هذا المنطلق، تحركت تركيا للتأثير عبر استخدام نفوذها. وقد استخدمت هذه السياسة بالتزامن في بعض البلدان المستهدفة، التي كانت مصر وسوريا. وأظهرت هذه السياسة أولى علائم تقدمها بعد أن أخذت حكومة إخوانية مقاليد الحكم في مصر برئاسة محمد مرسي، ولكن الأمر لم يدم طويلاً، إذ إن الجنرال عبد الفتاح السيسي انقلب ضد مرسي والإخوان المسلمين؛ وبذلك انتهى ودُّ العلاقات بين أنقرة والقاهرة.

لقد كانت رغبة أردوغان للوصول الإخوان المسلمين إلى سدة الحكم إلى حد أنه في أعقاب

الإطاحة بمرسي، أعلن خالد ضياء الدين -ممثل المدعي العام المصري بشأن التحقيق في قضية التهم الخاصة بتجسس الرئيس المصري المخلوع محمد مرسي و35 من قادة الإخوان المسلمين- أن التسجيلات الصوتية تكشف عن العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين المصرية وتركيا، وأظهر الاستفسار الذي أخذ من شركة فودافون من رقم هاتف مرسي أنه أجرى اتصالاً هاتفياً مع رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان منذ يوم 20 وحتى 27 كانون الأول لعام 2011. وأظهر تسجيل صوتي آخر أن المتهمين الأول والسادس مرتبطان بدول أجنبية، وقد منح رجب طيب أردوغان عبر اتصالاتهما لقب «الكبير».

وواصل ممثل المدعي العام مشيراً إلى وجود تنسيق بين المتهمين وثلاث وكالات استخبارات وقال: «هذا الأمر يظهر بوضوح على أن هناك بالفعل اتفاقات بين جماعة الإخوان المسلمين ووكالات الاستخبارات الأجنبية وقد تمت مسبقاً، وأظهرت المحادثات المسجلة أن مرسي كان خائفاً من تواصل وكالات المخابرات مع المجموعات الأخرى في مصر، لكن المتهم الآخر أحمد عبد العاطي مدير مكتب مرسي، أكد للأخير أن وكالات الاستخبارات هذه تتعاون فقط مع جماعة الإخوان المسلمين، وهي لا تدعم الجماعات الإسلامية الأخرى»¹.

وتسبب هذا الانقلاب -الذي نجح بدعم من قبل السعودية لعبد الفتاح السيسي- في اضطرابات بالعلاقات التركية السعودية، إذ إن هذا الأمر أصبح أكثر وضوحاً في عملية الأزمة السورية والانقلاب الفاشل الذي تلا ذلك في تركيا. وهاجم عبد الفتاح السيسي جماعة الإخوان المسلمين المتجدرة في المجتمع المصري بطريقة منظمة تنظيماً جيداً وذلك بعد توطيد السلطة عبر رئاسة الجمهورية المصرية، حتى أنه أعلن في الأشهر الأولى التي أمضاها في السلطة في أيار 2014، أن جماعة الإخوان المسلمين لم تعد موجودة².

واشتدت التوترات على الفور بين البلدين بعد مدة وجيزة من هذا الحدث؛ مما يعني فشلاً كبيراً في الاستثمار السياسي لأردوغان في المنطقة، وحتى الآن، ما تزال العلاقات باردة ويخيم عليها جو من التوتر على صميم سياساتهما في بعض الأحيان، إذ يمتد نطاق هذه التوترات إلى مجال الاتفاق الثنائي بين البلدين ومنطقة البحر الأبيض المتوسط.

1. <https://www.alarabiya.net/ar/arab-and-world/egypt/2014/11/18/النيابة-#>

المصرية-تكشف-تسجيلات-تخابر-مرسي-مع-تركيا.html

2. <https://www.reuters.com/article/us-egypt-sisi/egypts-sisi-says-muslim-brotherhood-is-finished-idUSBREA4402QD20140506>

«وكان المتحدث باسم وزارة الخارجية المصرية أحمد أبو زيد قال إن اتفاق هذا البلد مع قبرص على رسم الحدود البحرية في البحر المتوسط أمر قانوني، وإن مصر ستصدي لأي محاولة تهدف لانتهاك سيادتها على المنطقة الاقتصادية لشرق البحر الأبيض المتوسط. وأضاف أبو زيد أن اتفاقية رسم الحدود البحرية بين مصر وقبرص مسجلة على أنها اتفاقية دولية في الأمم المتحدة. وكان وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو قد صرح في وقت سابق أن بلاده لن تعترف بالاتفاقية الموقعة بين مصر وقبرص في عام 2013 بشأن رسم الحدود البحرية بين البلدين لاستخدام الموارد الطبيعية في المنطقة»³.

سوريا أكثر دول المنطقة تحدياً لسياسات أردوغان التوسعية

أعلن رجب طيب أردوغان في بيان صريح في أوائل كانون الثاني 2012 مخاطباً الأتراك والسوريين بطموح عن نهاية وشيكة للحرب في سوريا وأضاف أنه سيصلي قريباً مع رفاقه في الجامع الأموي في دمشق.

«قريباً ستخجل أحزاب المعارضة في تركيا من سلوكها، لأنها دعمت الحكومة السورية؛ لأنني وأعضاء الحزب سوف نساfer إلى دمشق للقاء إخواننا، وسنقرأ سورة الفاتحة على قبر صلاح الدين الأيوبي، ثم سندخل ساحة الجامع الأموي الكبير في دمشق ونزور قبر صحابة النبي، بلال الحبشي، وكذلك ابن عربي، وسنقوم بزيارة كلية السلیمانية ومحطة الحجاز، ثم نشكر الله إلى جانب الإخوة السوريين»⁴.

وبعد مرور عام على تصريحات أردوغان، ومع انهيار حكومة الإخوان المسلمين من خلال الانقلاب وفقدان مصر، أصبح من الواضح لزعماء أنقرة أن سوريا يجب أن تكون من الآن فصاعداً النقطة المحورية في أنشطتهم الإقليمية. وعلى وفق كل الأدلة المتوفرة، فإن جماعات المعارضة المسلحة الموجودة في النزاع السوري جميعها كانت لديها ميول متطرفة سلفية، وفي هذه الأثناء، أدت تركيا دوراً مهماً لا يمكن إنكاره في نموها وتطورها. وكان التقدم الذي حققه أردوغان في استغلال هذه التيارات، سرعان ما كان له آثار سلبية داخل حدود تركيا، إذ شهدنا عمليات إرهابية من قبل تنظيم

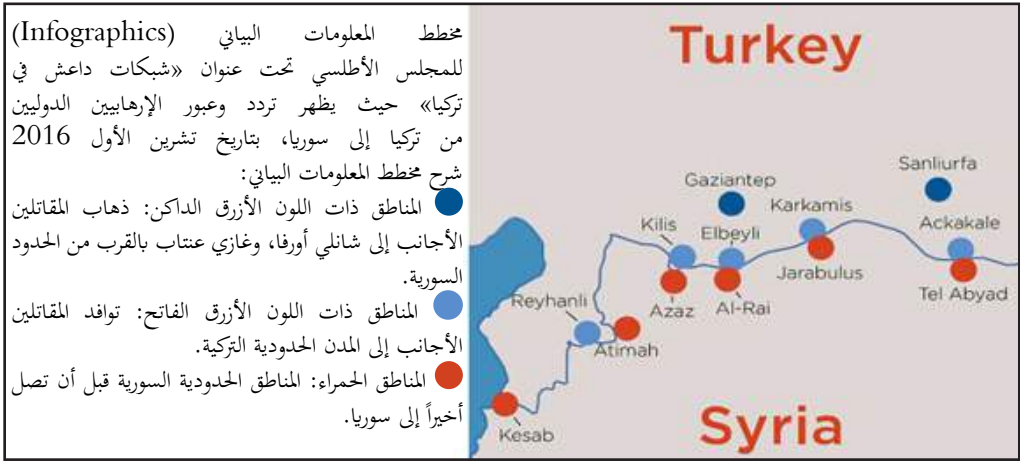
3. <https://m.jpost.com/Middle-East/Egypt-warns-Turkey-over-eastern-Mediterranean-economic-interests-540946>

4. نقلت وكالة أنباء عصر إيران عن وكالة أنباء الأناضول، بتاريخ 16 سبتمبر 2012.

داعش داخل الأراضي التركية عدة مرات، حتى أن صحيفة بوليتيكو الأمريكية وصفت سياسة أردوغان بأنها رقصة تركيا الخطيرة مع التطرف⁵.

«إن استخدام المنظمات الإرهابية لتحقيق أهداف محددة عادة ما يكون له تأثير معاكس على المستخدم. بعد مدة من النتائج الاستراتيجية والتنمية السياسية والاقتصادية، واجهت تركيا هجمات داعش في أراضيها، وأعلن تنظيم داعش مسؤوليته عن جميع التفجيرات في منطقة سلطان أحمد وشارع الاستقلال ومطار أتاتورك»⁶.

أغلب التنسيقات التي تمت خلال الأزمة السورية -مثل تنظيم الجماعات المسلحة وتسليحها وتجهيزها، حصلت داخل الأراضي التركية- وكان العديد من المتطرفين يدخلون سوريا لدعم المجموعات المعارضة للنظام في دمشق عبر تركيا.



إن التصريحات التي أدلى بها رئيس الوزراء القطري السابق حمد بن جاسم آل ثاني بهذا الشأن في حديث مع تشارلي روز لافتة للنظر، إذ قال:

«لقد أخطأنا في سوريا. أنشأنا غرفتين للعمليات في الأردن وتركيا. تضمان قطر والإمارات

5. <https://www.politico.eu/article/turkeys-dangerous-dance-with-radicalism-erdogan-islam-syria/>

6. <http://www.washingtoninstitute.org/fikraforum/view/turkey-between-border-conflicts-and-regional-expansio>.

العربية المتحدة والسعودية والولايات المتحدة الأمريكية و... وكنا جميعاً ندعم مجموعات مماثلة»⁷.

«فيما يتعلق بالأزمة السورية، ذهبت في بدايتها إلى الملك عبد الله (ملك المملكة العربية السعودية) بناءً على أوامر من الأمير حمد بن خليفة، وقال لي خذوا بزمام الأمور وسوف ندعمكم. لن أخوض في التفاصيل، أي شيء ذهب إلى سوريا، كان يدخل تركيا أولاً وبالتنسيق الكامل مع القوات الأمريكية، كل شيء كان يتم توزيعه بالتنسيق مع الولايات المتحدة وتركيا وقطر والسعودية»⁸.

في الحقيقة، إن رؤية أردوغان القائمة على الميول العثمانية الجديدة وإحياء النظام الإسلامي عبر فهمه الخاص دفع سياسة تركيا الخارجية إلى استراتيجية النفوذ في منطقة غرب آسيا، وبالطبع، لقد كانت سوريا تعدّ محوراً مهماً في هذه الأثناء لأنها كانت تمثل الرابط بين جمهورية تركيا والأراضي العربية التي خرجت عن السيطرة بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، ومن الطبيعي أن تكون الخطوة الأولى والحيوية للتواصل معها حسب تصور الأتراك في مثل هذه العملية هي السيطرة على دمشق. وهذا هو السبب الذي جعل أنقرة لم تتخلى عن اتخاذ أي إجراء لضرب الحكومة السورية (التي كان ينظر إليها على أنها حجر عثرة أمام استراتيجية الأتراك). لكن سياسة تركيا هذه في سوريا فشلت أيضاً بسبب وجود الدول الإقليمية وعبر الإقليمية، وقد تمكنت الحكومة السورية، بمساعدة حلفائها مثل إيران وحزب الله وروسيا، من التغلب على الجماعات الإرهابية المسلحة وتوطيد سيادتها وتثبيتها.

الأكراد السوريون تحد غير مرحب به لسياسة تركيا تجاه سوريا

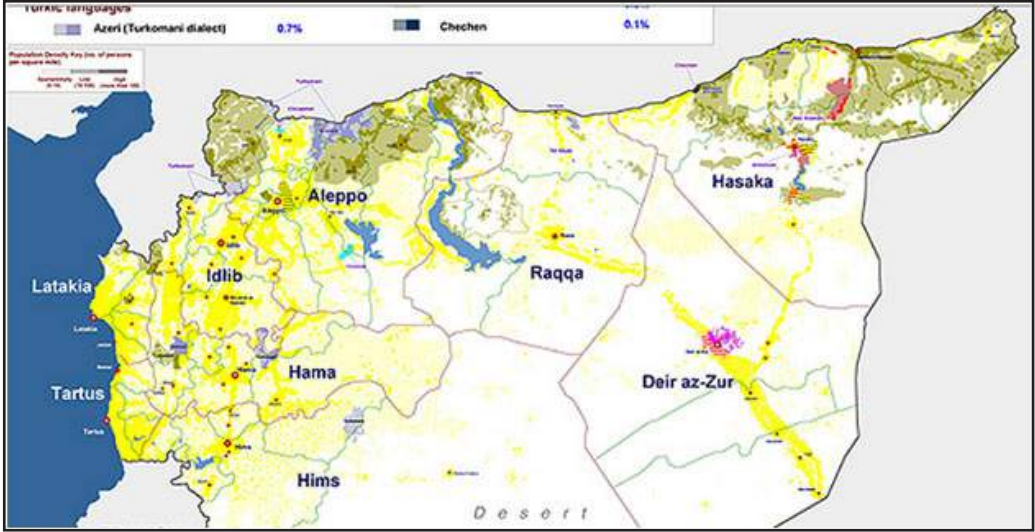
لقد تُقّدت طموحات أردوغان في سوريا بغض النظر عن نقاط الضعف في هذه البلاد وقد أثارت الأحداث اللاحقة تطورات لم تكن تخطر على بال قادة أنقرة في بداية الأزمة.

ومن بين القضايا التي يمكن الإشارة إليها هي قضية الأكراد ووجودهم في الجزء الشمالي من سوريا الذي يشكل المناطق الحدودية مع تركيا. «الأكراد هم أكبر أقلية عرقية في سوريا حيث يبلغ عددهم حوالي مليوني نسمة ويشكلون 10% من السكان في هذا البلد»⁹.

7 . <https://charlirose.com/videos/30589>

8. مقابلة حمد بن جاسم آل ثاني، رئيس الوزراء القطري، مع تلفزيون قطر الحكومي بتاريخ 28/10/2017

9. <https://www.sbs.com.au/news/who-are-syria-s-minority-groups>



خريطة نشرتها مؤسسة التراث الأمريكي (The Heritage Foundation)، تظهر فيها المناطق الكردية في شمال سوريا (باللون الأخضر) قبل بداية الأزمة في عام 2011

وبالنظر إلى وجود الأكراد في المناطق الحدودية السورية المتاخمة لمناطق الأكراد في الجانب الآخر من الحدود في تركيا كان من المرجح أنه مع تقويض حكم دمشق على المناطق الحدودية نتيجة للأزمة الحالية، سيحصل الأكراد على استقلالية في العمل بنحو أكبر في المستقبل، وهذا الأمر يبدو أنه لا مفر منه، ولكن نظراً لخطأ أنقرة الحسائي - في انهيار دمشق السريع وإقامة الصلاة في مسجدها الأموي - سلب منهم مجال هذه البصيرة، وفي حال أخذت الأحداث مساراً آخر وعلى الرغم من تضييق حكومة بشار الأسد - لكنها بقيت في السلطة - ماذا سيحدث للأكراد؟! في الواقع أن عدم الاهتمام بقضية الأكراد في سوريا أو عدّها أقل أهمية من جانب تركيا، أصبح (كعب أخيل) للسياسة التركية في سوريا. وإن تزايد انتشار مختلف الجماعات المسلحة وتعرض دمشق للتهديدات والمخاطر، جعل السيطرة على المناطق الحدودية تسقط رويداً رويداً من يد حكومة بشار الأسد. وفي الوقت نفسه، أدى ظهور جماعة داعش الإرهابية إلى تغيير المعادلات الإقليمية والعالمية أكثر مما كان في السابق، ولاسيما أنه مع استمرار الحرب في سوريا، اتسعت رقعة المناطق التي تسيطر عليها داعش. وكانت تحركات داعش وصلت إلى الحد الذي نجح فيه التنظيم في السيطرة على مناطق كبيرة من الأراضي السورية في عامي 2014 و 2015 ولاسيما في المناطق الحدودية مع تركيا.

وبعد أن وطد تنظيم داعش وجوده في المناطق الحدودية من سوريا، عززت أنقرة علاقاتها مع التنظيم. وهناك العديد من الحالات في هذا الصدد، بما في ذلك تقرير مراسل الجارديان مارتن تشولوف بتاريخ 26 تموز 2015:

«خلال هجوم بقيادة القوات الأمريكية على مقر قائد الشؤون الاقتصادية لتنظيم داعش، تم الحصول على وثائق تكشف عن وجود تعاملات اقتصادية لتركيا مع كبار المسؤولين في تنظيم داعش. وقُتل أبو سيّاف، أحد قادة تنظيم داعش والمسؤول عن الشؤون الاقتصادية في هذا التنظيم، بهذه العملية العسكرية. لقد كان أبو سيّاف مسؤولاً عن بيع نفط وغاز تنظيم داعش في سوريا. وكانت الوثائق وذاكرة الكمبيوتر التي تم الحصول عليهما في أثناء العملية تكشفان بوضوح وبشكل لا يمكن إنكاره عن العلاقة بين تركيا وداعش. ويمكن أن يكون لهذه الوثائق آثار عميقة على العلاقات بيننا وبين أنقرة»¹⁰.

«من وجهة نظر واسعة، تؤدي تركيا دوراً مضطرباً ومتناقضاً في العراق، وإن تصرفاتها في سوريا وما حولها، أضافت المزيد من التعقيد إلى هذه الأدوار أيضاً. على سبيل المثال: رفضت تركيا بعد احتجاجات عام 2012 تصنيف جبهة النصرة وداعش تنظيمين إرهابيين وذلك لسببين رئيسيين:

الأول: كانت تركيا تحاول استخدام هذه الجماعات للإطاحة بحكومة بشار الأسد؛ ولهذا السبب سمحت لهم تركيا باستخدام أراضيها كقاعدة لغرض توفير المعدات وتجنيد المقاتلين، وأغلق جهاز الأمن التركي عينيه أمام الإرهابيين الذين كانوا يتوافدون من جميع أنحاء العالم ويدخلون سوريا عبر تركيا.

الثاني: إن تركيا كانت تستخدم هذه الجماعات لمحاربة الأكراد؛ لأنها تخشى من الأكراد داخل البلاد وخارجها، ولها علاقات معقدة مع إقليم كردستان العراق. لقد وجدت تركيا نفسها أمام منطقة تتمتع بالحكم الذاتي في شمال سوريا، ويديرها حزب الاتحاد الديمقراطي السوري (PYD) وهذا الحزب قريب من حزب العمال الكردستاني»¹¹.

10. https://www.theguardian.com/world/2015/jul/26/isis-syria-turkey-us?CMP=share_btn_tw

11. <http://www.washingtoninstitute.org/fikraforum/view/turkey-between-border-conflicts-and-regional-expansion>

«لقد كانت تركيا منذ بداية الحرب في سوريا، واحدة من أكثر الجهات الفاعلة -الإقليمية- نفوذاً تحت حكم رجب طيب أردوغان، وقد عملت على استمرار الحرب. وعُرفت تركيا كبوابة دخل عبرها عشرات الآلاف من الجهاديين المسلمين إلى سوريا والعراق من جميع أنحاء العالم وانضموا إلى صفوف القتال ضد نظام بشار الأسد. وكان من بينهم الآلاف الذين انضموا إلى داعش وجبهة النصرة في سوريا»¹².

إن العلاقات الأمنية والمالية بين تركيا وجماعة داعش الإرهابية أصبحت أكثر وضوحاً حينما استهدفت الطائرات التركية من طراز F-16 طائرة سوخوي 24 الروسية وأسقطتها على الحدود السورية التركية. وقام الروس مباشرة بعد الحادث الذي كان من الصعب هضمه لموسكو بإفشاء وتسريبات واسعة حول هذا الموضوع.

«بعد يومين فقط من استهداف الطائرة الروسية من قبل الطائرة التركية، أعلن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، أنه لا يوجد شك في شحن النفط من المناطق التي استولى عليها الإرهابيون في سوريا إلى الحدود التركية، وقال: نحن من السماء نرى هذه الشاحنات التي تحمل النفط»¹³.

«واتهم نائب وزير الدفاع الروسي أناتولي أنتونوف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان بالمشاركة شخصياً في تجارة النفط مع داعش. وقال أيضاً إن الرئيس أردوغان وعائلته متورطون في هذه التجارة الإجرامية»¹⁴.

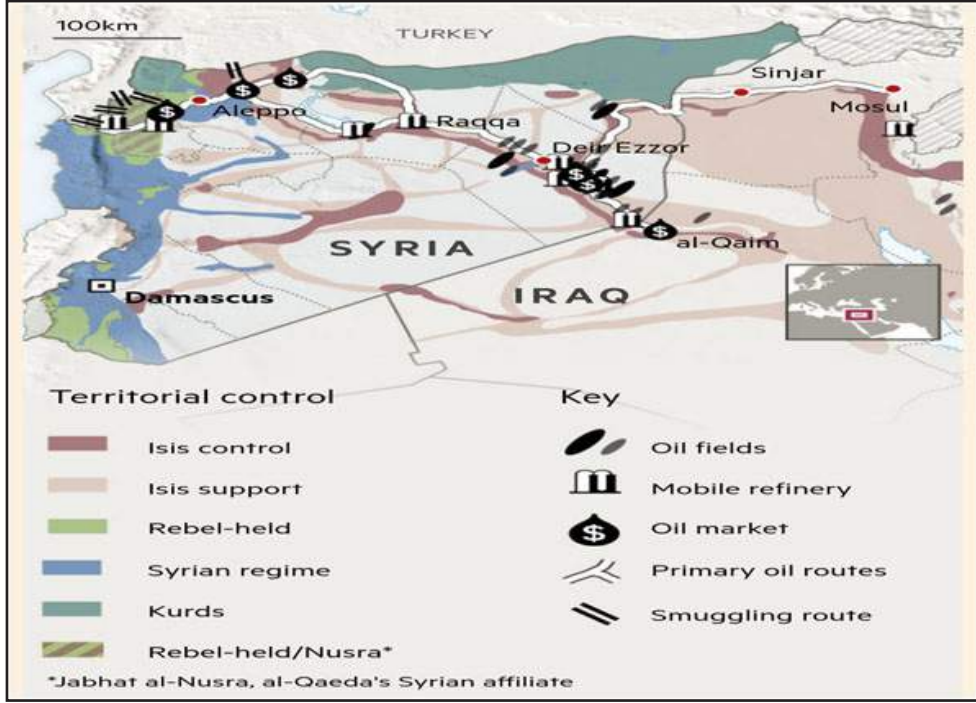
«تعتمد قوة تركيا أيضاً على النهج المنطقي للتنمية الاقتصادية الذي تسمح للهيئة الحاكمة في هذا البلد لبسط سيطرتها على المنطقة. على سبيل المثال: لقد دعمت تركيا داعش عن طريق شراء النفط. واستخدم المهربون طرقاً كثيرة لتصدير النفط من الأراضي التي استولوا عليها مثل الشحن بالصهاريج، والشاحنات الصغيرة، وخطوط الأنابيب المؤقتة، وعن طريق النهر واستخدام القوارب. وكان معظم المشترين من بين أصحاب الأعمال الصغيرة وشركات الشحن التركية، إذ كانوا يجمعون هذه الشحنات النفطية داخل منطقة في المثلث الحدودي العراقي السوري التركي وبعد ذلك يتم تصديرها إلى تركيا، حتى يقوم الوسطاء هناك بشرائها بأقل من 20 دولاراً للبرميل الواحد»¹⁵.

12. http://dayan.org/content/al-qaedas-propaganda-virtual-turkey#_edn2

13 . <http://time.com/4132346/turkey-isis-oil/>

14. المصدر نفسه.

15. <http://www.washingtoninstitute.org/fikraforum/view/turkey-between-border-conflicts-and-regional-expansion>



خريطة ميدانية لخطوط الاتصال النشطة في سوريا والعراق بتاريخ 29 تشرين الثاني 2016، إذ نُشرت من قبل فاينانشال تايمز، وتُظهر آبار النفط الخاضعة لسيطرة داعش، وإن طرق تهريب النفط إلى الحدود التركية الجنوبية واضحة تماماً. «وعلى وفق تقديرات بنس إنسايدر (Business Insider) بتاريخ 23 تشرين الأول 2015، كان داعش الإرهابي يكسب حوالي 50 مليون دولار شهرياً من خلال مبيعات النفط»¹⁶.

وبعد فرض روسيا عقوبات ضخمة على تركيا مباشرة، التي كان أبرزها تلك التي استهدفت قطاع السياحة وشراء المواد الغذائية والفواكه، ضاقت الأرض على القادة الأتراك بما رحبت، وأعرب أردوغان عن أسفه للحادث واعتذر في وقت لاحق من روسيا. ومن الأشياء المثيرة للاهتمام وراء هذا الحادث كان إضعاف داعش الإرهابي؛ لأنه في تلك الأيام، كانت سلسلة أنشطة داعش في سوق النفط الأسود تخضع للمراقبة الروسية، وفي كثير من الأحيان استهدفت شحناتها النفطية من

16. <https://www.businessinsider.com/isis-making-50-million-a-month-from-oil-sales-2015-10>

قبل سلاح الجو الروسي، وهكذا حُرم الإرهابيون من الإيرادات الضخمة التي كانوا يجنونها من تجارة الذهب الأسود، وبالطبع، يمكن عدّ هذه المدة الزمنية بداية لزوال داعش. إن هذه المدة الزمنية التي تقارنت مع الأشهر الأولى لدخول روسيا في عملية إنقاذ سوريا من مشروع تغيير النظام، جعلت رؤية الولايات المتحدة للتدخل في هذا البلد تأخذ أبعاداً جديدة. ومن طريق التنسيق الذي تم بين الدول الأربع المتمثلة في إيران وروسيا والعراق وسوريا التي أنشأت غرفة عمليات مشتركة لمكافحة الإرهاب ثبت لواشنطن أن إمكانية بقاء الحكومة السورية بقيادة بشار الأسد أصبحت أكثر من ذي قبل؛ وهكذا، انخفض حجم المساعدات المقدمة للمعارضة المسلحة، ولكن في المقابل، فإن الولايات المتحدة -من أجل المشاركة في العمليات الميدانية في سوريا- اتجهت نحو تجهيز وتسليح وتنظيم القوات الكردية السورية. وكانت الولايات المتحدة تسعى من وراء هذه السياسة إلى تحقيق عدة أهداف، منها: أن تعلن للرأي العام العالمي أنها هرعت لمساعدة الأكراد من أجل محاربة جماعة داعش الإرهابية، وأقدمت على ذلك وتحملت التكاليف، وكان الهدف الثانوي هو السيطرة على تلك المناطق في ظل وجود الأكراد السوريين بعد طرد قوات داعش من المناطق المستهدفة، وذلك لتعظيم تأثيرها على العمليات المستقبلية لسوريا، وربما على تقسيماتها الجغرافية السياسية. ولكن فيما يخص هذا الموضوع، يجب الأخذ بالحسبان الاختلافات بين حكومتي أوباما وترامب في العديد من المجالات، سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية، ومن المهم الإشارة إلى أن دعم الأكراد السوريين تحت عنوان القوات الديمقراطية السورية (SDF) يُنظر إليه على أنه سياسة استراتيجية، لأنه في كلتا الحكومتين، تم تعريف عمق الاستراتيجية العسكرية لوزارة الدفاع الأمريكية في سوريا على أنها تقديم أقصى دعم للأكراد السوريين، وكان هذا الأمر موضع انتقادات جديّة من قبل تركيا وذلك منذ بدء هذه السياسة، ولاسيما أن طلب تركيا للمشاركة في عمليات طرد داعش من مدينة الرقة (عاصمة الخلافة الإسلامية، كما أطلقت داعش هذا العنوان عليها)، واجه عدم الاكتراث من قبل الولايات المتحدة الأمريكية؛ وأقدمت الولايات المتحدة على دعم الأكراد السوريين من أجل هزيمة داعش، وهذا الأمر تسبب في المزيد من الغضب لدى أنقرة.

ملاحظات تركيا بشأن العراق

في خضم الأزمة في سوريا، كان لأنقرة أيضاً نصف نظرة على التطورات التي كانت تجري في العراق وعلى رأسها الحرب الدولية ضد تنظيم داعش.

إن منطقة الموصل في محافظة نينوى في العراق تحظى بأهمية خاصة؛ بسبب حجمها وعدد

سكانها ومواردها، وموقعها الجغرافي المتميز؛ لأن الموصل تقع على طول الحدود التركية والسورية، وتعد منطقة مهمة من وجهة نظر جغرافية، وتاريخية، وثقافية، واقتصادية. ولقد كان الاستيلاء عليها هدف القوى العظمى في المنطقة دائماً؛ ليتمكنوا عبر ذلك من بسط نفوذهم وأن يستفيدوا من موارد هذه المنطقة. وفي أثناء تحرير الموصل من قبل الجيش العراقي والقوات المتحالفة معه، كان المسؤولون الأتراك ينظرون إلى هذه المنطقة على أنها مجال مهم لتحقيق تطلعاتهم الإقليمية والدولية. ومع هذا الافتراض - حينما أصبح توقيت بدء عمليات الموصل واضحاً - بذلت تركيا كل جهد ممكن للمشاركة كجزء من عمليات التحالف، ولكن هذا الأمر لم يرافقه رد إيجابي من مختلف الأطراف؛ لأن نوايا أنقرة من عملياتها العابرة للحدود، كانت واضحة للجميع. وفي مثل هذه الظروف، كثّف الأتراك وجودهم العسكري في محافظة نينوى وذلك في ظل فراغ السلطة الذي كانت تعاني منه الحكومة العراقية، وكانت تركيا تسعى إلى تحقيق أهداف من وراء هذه التحركات، وهي الآتي:

1. كانت تركيا تحاول أن تجعل الرأي العام في البلاد بعد بضعة أشهر من حدوث الانقلاب الفاشل، أن يركز في الأحداث العابرة للحدود، من أجل أن تكون قادرة على القيام بتصفية حسابات داخلية في ظل هذه الأجواء. وإن سياسة تركيا في جميع عملياتها العسكرية التي تقوم بها خارج حدودها، يمكن تفسيرها عبر تبرير المواجهة مع حزب العمال الكردستاني، وحتى الآن، تركزت (بروباغندا) حكومة أردوغان بشأن هذه المسألة.
2. لقد كانت تركيا تنوي الحفاظ على استراتيجيتها للوجود الميداني في المنطقة، وأن ترسل رسالة إلى بعض القوات التي تكون تحت مظلتها بأنها لن تتخلى عنها.
3. بالنظر إلى الميول العثمانية الجديدة التي تسيطر على حكومة أردوغان، فإن الوجود الميداني في محافظة نينوى ربما كان يمثل رسالة إلى كل من الداخل التركي والقوى الإقليمية الأخرى، مثل إيران؛ وهذا يعني أن تركيا - على الرغم من التحديات المرتبطة بالانقلاب الفاشل - ما تزال تتمتع بالقدرة والمجد الذي هو مواز لمحاكمة ومعاينة المرتبطين بالانقلاب، وإنما إلى جانب ذلك يمكنها القيام بتحركاتها العابرة للحدود ومتابعة أهدافها الإقليمية أيضاً.

وبالنظر للهدف رقم 3، يمكن أن نفهم لماذا احتجت تركيا على مشاركة قوات الحشد

الشعبي في عملية تحرير الموصل؛ لأن تركيا تعدّ هذه الحركة العراقية بمنزلة الذراع التنفيذي الإيراني للعمليات العسكرية العراقية، وبالطبع بسبب عدم مشاركة القوات التركية في هذه العملية، فسّر رجال الدولة الأتراك وجود هذه القوات -المعروفة باسم الوكيل الإيراني في العراق- على أنه تفوق طهران الاستراتيجي على أنقرة في العمق العراقي. ومع ذلك، فإن تركيا تواصل الحفاظ على وجودها العسكري في شمال العراق على الرغم من التحديات المختلفة، إذ أعلن بن علي يلدريم رئيس البرلمان التركي أن بلاده لديها 11 قاعدة عسكرية مؤقتة في شمال العراق 17. ومع ذلك، فإن موقف الأتراك قد تغير إلى حد ما تجاه الحشد الشعبي؛ نتيجة لعملية كركوك والوجود القوي لهذه الحركة لاستعادة السيادة الوطنية العراقية، إذ بثت وسائل الإعلام الإقليمية، ولاسيما في تركيا والعراق، صوراً للسفير التركي في بغداد فاتح يلدرز، إلى جانب أحد قادة الحشد الشعبي من أصول تركمانية، بينما كان كلاهما يرفعان علم الحشد الشعبي!



الاستراتيجيات المتوسطة المدى والطويلة المدى لتركيا في شمال سوريا

بعد سيطرة الجيش العراقي الكاملة على الموصل والإجراءات التي تلتها، وفشل خطة الاستفتاء على فصل إقليم كردستان عن العراق وما ترتب عليها، بما في ذلك الأحداث المرتبطة بمدينة كركوك التي أدت إلى انسحاب قوات البشمركة، اطمأنت أنقرة من عدم نشوء منطقة كردية

17. <https://www.aa.com/tr/en/middle-east/turkeyhas-11-temporary-military-bases-in-northern-iraq/1180935>

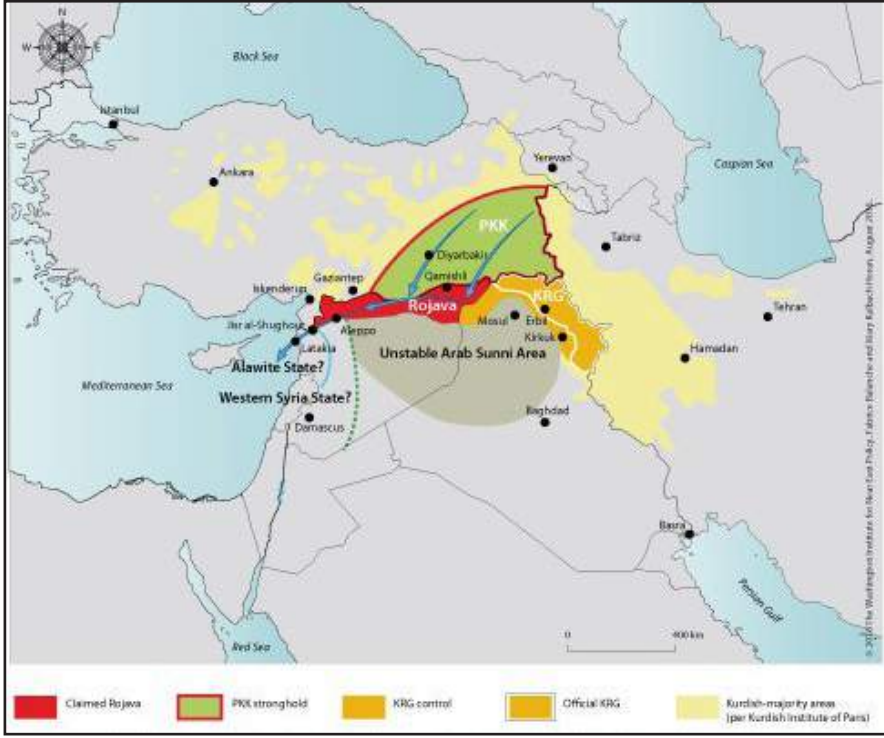
مستقلة في شمال العراق وركزت بالكامل على مواجهة الأكراد السوريين. وعلى الرغم من أن تركيا شنت عملياتها العسكرية خارج حدودها في سوريا تحت مسمى درع الفرات بعد حوالي شهر من الانقلاب الفاشل، التي تمكنت خلالها بعد 7 أشهر (26 آب 2016 إلى 29 شباط 2017) من السيطرة على مناطق مثل جرابلس، ودابق، والباب في سوريا، ولكن النقطة المهمة هي أن المناطق المذكورة آنفاً كانت خاضعة لسيطرة داعش في السابق وأن تركيا -عبر التحول الاستراتيجي الذي حصل في علاقتها مع داعش- أقدمت على شن عملية عسكرية ضد هذه الجماعة. لقد كانت هذه العملية دلالة واضحة على تعاون وتفاني جماعات المعارضة السورية المسلحة مع أنقرة، لأنه خلال هذه العملية كانت جماعة الجيش السوري الحر -التي تم الترويج لها في الإعلام الغربي والتركي بأنها معارضة شرعية لحكومة بشار الأسد- أخذت تعمل الآن كقوات مرتزقة وعميلة في خدمة أهداف أنقرة السياسية. لقد تزامنت هذه التفاعلات مع تغيير في رئاسة الولايات المتحدة وتولي شخص مثل دونالد ترامب منصب رئاسة الجمهورية في أمريكا، وهو شخصية غير معروفة في الهيكل السياسي للولايات المتحدة، وبطبيعة الحال، انتهزت تركيا الفرصة في مثل هذا الوقت لتحقيق أهدافها. ومع مجيء الإدارة الأمريكية الجديدة إلى البيت الأبيض ومع مرور الوقت، أصبح من الواضح أن السياسة الأمريكية الرئيسة الوحيدة في سوريا تتمثل في دعم وحدات حماية الشعب الكردية (YPG)، وفي هذا المسار كان هناك قدر كبير من التنسيق بين التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة ضد داعش والأكراد السوريين، وفي هذا المقطع، لم يعد لإطاحة بشار الأسد من السلطة أي مكانة في السياسة الأمريكية، ولا سيما أن ترامب نفسه قد أدلى بتعليق مفصل عن هذا الموضوع خلال المناظرات الانتخابية. ولذلك أصبح من الواضح جداً لأنقرة أن الطريقة الوحيدة للنفوذ والوجود الأمريكي في سوريا ستكون من خلال وحدات حماية الشعب الكردية (YPG)، التي تم تنظيمها الآن في إطار أوسع يعرف باسم قوات سوريا الديمقراطية (SDF). وأصبحت أهمية هذه القضية واضحة لتركيا إلى درجة أن سياسة الدعم الكبير للأكراد السوريين استمرت في كلتا الحكومتين المتعارضتين تماماً، أي إنها تواصلت منذ ولاية أوباما حتى ترامب، وكان هذا بالطبع مؤشراً على استراتيجية كبرى (وليس مجرد وجهة نظر تكتيكية ومقطعية) في نظرة الولايات المتحدة تجاه الأكراد السوريين. وبطبيعة الحال، لقد خلق هذا الوضع شخراً عميقاً بين أنقرة وواشنطن، إذ كان من الواضح أن كلا الطرفين كانا يحاولان المساومة مع بعضهما البعض خلال العامين الماضيين لغرض التقليل من خلافاتهما؛ ولهذا السبب حاولت تركيا اتباع سياستها الخاصة بما يتجاوز التنسيق الكامل مع الولايات المتحدة. وفي الإطار نفسه، بدأ الجيش التركي عملية عسكرية تحت مسمى

عملية غصن الزيتون في منطقة عفرين الكردية (شمال غرب سوريا) في 20 كانون الثاني 2018، وأخيراً، نجح الجيش التركي من إخراج المنطقة من سيطرة القوات الكردية السورية في 14 شباط 2018، أي بعد مرور ما يقرب من شهرين. وشاركت في هذه العملية، بعض قوى المعارضة السورية، مثل الجيش السوري الحر، وفيلق الشام، ولواء السلطان مراد، والجبهة الشامية، وغيرها من التنظيمات ..

لقد كانت هذه العملية ذات أهمية استراتيجية من جوانب مختلفة؛ لأن عفرين - كونها منطقة كردية - كانت تعدّ أقرب منطقة كردية للمياه الحرة في منطقة غرب آسيا؛ ولهذا السبب فهي تتمتع بمكانة خاصة لدى الفصائل الكردية في المناطق الكردية بغرب آسيا التي لديها تطلعات باستقلال كردستان. وتكون أهمية القضية إلى درجة حيث في أثناء استعداد الحكومة السورية لشن عملية لتحرير إدلب من الجماعات الإرهابية المسلحة قال الدار خليل أحد القادة الأكراد السوريين في مقابلة مع قناة رووداو: إن القوات الكردية مستعدة لمساعدة الجيش العربي السوري في تحرير إدلب، شريطة أن يساعد الجيش العربي السوري الأكراد على طرد القوات الموالية لتركيا من عفرين 18. وفي الوقت نفسه، أعلن موقع ميدل إيست آي، في تقرير أن الأكراد يتطلعون إلى بسط سيطرتهم على شمال سوريا حتى البحر الأبيض المتوسط¹⁹.

18. <http://www.rudaw.net/english/middleeast/syria/26072018>

19. <https://www.middleeasteye.net/news/syrias-kurds-plan-enclave-stretching-mediterranean-report-865706939>



خريطة معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، بتاريخ 24 آب 2016 من الممر المحتمل للأكراد إلى البحر المتوسط

لقد أدركت تركيا هذه الاستراتيجية الكردية وواصلت سلسلة إجراءاتها في شمال سوريا، إذ أعلن النشطاء الأكراد في المنطقة عن سياسة الأتراك البطيئة التي تهدف لتغيير التركيبة السكانية في عفرين.²⁰

20. <http://www.rudaw.net/english/analysis/03052018>

النتيجة

لقد انتهزت تركيا في بداية الاضطرابات في العالم العربي الفرصة لتحقيق طموحاتها الإقليمية وجني ثمارها، ولكن مع مرور الوقت، وظهور عناصر ومكونات جديدة، واجهت بعض التحديات. ومما لا شك فيه أن قيام دولة كردية مستقلة سواء كعنصر منفصل عن العراق أو سوريا، لن يكون مقبولاً لدى أنقرة على الإطلاق، وعلى الرغم من التغيير الذي حصل في بعض سياسات تركيا بشأن مجموعة من القضايا المختلفة، فلا شك أنه يمكننا أن نعتقد بأن الأتراك سيعارضون بحزم أي حركة كردية انفصالية في غرب آسيا، وفي حالة واحدة فقط، سيتمشون مع فصل المناطق الكردية في العراق وسوريا؛ وذلك عند تأكدهم من أن هذه المناطق سيتم ضمها إلى الأراضي التركية؛ ولكن بطبيعة الحال، فإن هذا الأمر - نظراً لحقائق وواقع عالم اليوم وقدرات تركيا- بعيد المنال جداً؛ لذلك فمن البديهي أن تعطف نظرة تركيا نحو الخيارات والأهداف المتوسطة المدى والطويلة المدى التي يمكن تحقيقها لدى عقلية زعماء أنقرة. وفي هذا الصدد، يمكن القول إن الهدف المتوسط المدى لتركيا هو تطهير الشريط الحدودي (وإلى أقصى حد ممكن) وجميع الأجزاء الشمالية من سوريا من الأكراد. وإن تركيا من أجل ذلك لن تتخلى عن فعل أي شيء، حتى إذا اقتضى الأمر تغيير التركيبة السكانية في المناطق المذكورة آنفاً، حتى تقلل تحدي الأكراد في مناطقها الحدودية إلى الأبد. وأنها ستسعى إلى تعزيز الوجود العسكري والسياسي في المناطق الشمالية من العراق، ولاسيما في سوريا، ومن ثم السعي إلى كسب شرعية دولية لهذا الحراك، حتى تتمكن بهذه الطريقة من نشر قوات المرتزقة تحت إشرافها وعلى شكل معارضة الحكومة السورية المركزية في المناطق نفسها، وأخيراً بعد عملية تحقيق الاستقرار أيضاً، تلقي نصف نظرة على دمشق، وتمارس الضغط عليها، وأن تُبقي بذلك حلم نفوذها الاستراتيجي في الأراضي العربية على قيد الحياة.

وبصرف النظر عن البحث فإن أنقرة تسعى إلى تسريع تنفيذ المشاريع المائية ولاسيما مشروع جنوب شرق الأناضول الذي يعرف اختصاراً باسم (GAP)؛ مما سيتسبب في أضرار جسيمة لكل من العراق وسوريا عبر بناء سدود ضخمة على نهر دجلة والفرات، وبالطبع، كان يُنظر إلى الوجود السياسي والعسكري في المناطق المستهدفة من قبل أنقرة على أنه أداة ضغط على الحكومتين العراقية والسورية، حتى ترد عبر ذلك على تحركاتهما (سواء دبلوماسياً أو حتى عسكرياً) في الوقت المناسب.

المصدر: